التربية الاسلامية

- ٢ -

الأستاذ محمد على مصطفى

المفتش بوزارة المعارف

وروى المؤرخون أن بعض اليهود الذين عرفوا الكتابة العربية اشتغل بتعليم صبيان المدينة فى الزمن الأول .

ولما نزل القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام زاد الاهتمام بتعليم القراءة والكتابة إذ كان لابد من نشر كتاب الله بين الناس ، وخير وسيلة لذلك معرفة القراءة والكتابة حتى يستطيع الناس قراءته وفهم ما اشتمل عليه من أصول العقائد وصنوف العبادات وسير الغابرين وأخبار الأولين، ولهذا فادى رسول الله أسرى بدر من المشركين فمن استطاع أن يدفع الفدية قبلها منه، ومن لم يكن له فداء أمره أن يعلم عشرة من صبيان المدينة ؛ إذ كان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون ففشت الكتابة بالمدينة ، وروى البلاذرى أن سبى قيسارية بلغوا أربعة آلاف رأس، فلما بعث معاوية إلى عمر بن الخطاب أمر بهم فأنزلوا الجرف، ثم قسمهم على يتامى الأنصار وجعل بعضهم فى الكتاب والأعمال للمسلمين.

تتابعت الجهود وتضافرت الهمم فى نشر القراءة والكتابة بين الناس وذهب أبناء المسلمين أول الأمر إلى المدارس التى كانت لليهود فتعلموا فيها معهم، روى الأعمش قال: قال ابن مسعود: لقد أخذت القرآن من فى رسول الله ﷺ وآله سبعين سورة وإن زيد بن ثابت لغلام فى الكتاب له ذوابة واستمرت الحال على هذا النحو حتى نشأت المساجد والمكاتب فى بعض الجهات وزادت حركة

التعليم نشاطا ، روى الواقدى أن عبد الله بن أم مكتوم قدم مهاجرا إلى المدينة مع مصعب بن عمير رضى الله عنهما بعد بدر بيسير. فنزل دار القراء .

واشتد شغف الناس بالقراءة والكتابة حتى تلمسوا المعلمين فى كل ناحية وأحضروهم من الجهات النائية ليتولوا تعليم أبنائهم ، روى ابن وهب عن حفص ابن ميسرة عن يونس عن ابن شهاب أن سعد بن مالك قدم برجل من العراق يعلم أبناءهم الكتابة بالمدينة ويعطونه الأجر .وحكى ابن خلكان أن الحجاج بن يوسف الثقفى وأباه كان يعلمان الصبيان بالطائف،وفيه يقول مالك بن الريب :

فاذا عسى الحجاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا حفير زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف كما كان عبدا من عبيد إياد
زمان هو العبد المقر بذله يراوح صبيان القرى ويفادي

وكان لقب الحجاج كليبا وفيه يقول الشاعر :

أينسى كليب زمان الهزا ل وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ماترى وآخر كالقمر الأزهر

ومن المعروف أن الحجاج مات حوالى سنة ٩٥ هـ بعد أن ولى العراق عشرين سنة والحجاز من قبل ثلاث سنين وبعد أن كان رئيس الشرطة مدة من الزمن،وكان أبوه قد سبقه إلى هذه الصناعة ، وروى سفيان بن عيينة أن الضحاك ابن مزاحم وعبد الله بن الحارث كانا يعلمان ولا يأخذان أجرا على التعليم.ومن اشتغل بالتعليم فى صدر الإسلام أيضا أبو بكر الكلبي،وأبو عبد الرحمن السلمى ومعبد الجهنى،وقيس بن سعد،وعطاء بن أبى رباح ، والكميت بن زيد الشاعر إذ كان يعلم الصبيان بمسجد الكوفة .

عن الأصمعى عن خلف الأحمر قال : رأيت الكميت فى مسجد الكوفة يعلم الصبيان . ومن المعلمين الذين وردت أسماؤهم علقمة بن أبى علقمة مولى عائشة رضى الله عنها ، روى عن مالك بن أنس : وكان له مكتب يعلم فيه العربية والنحو والعروض ومات فى خلافة المنصور .

والظاهر أن حركة تعليم القراءة والكتابة كانت موفقة، حتى اطمأن العرب إلى أنفسهم، وشرعوا فى ضبط أعمالهم، وتسجيل أعطياتهم، وإنشاء ديوانهم والاستعانة بالكتاب منهم فى ذلك. وأول من وضع الديوان فى الدولة الإسلامية عمر. عن الشعبى قال: لما همَّ عمر بن الخطاب فى سنة ٢٠ هـ بتدوين الدواوين دعا بمخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم فأمرهما أن يكتبا الناس على منازلهم ففعلا. وأما ديوان الشام وديوان السواد وسائر العراق فقد بقى أولها بالرومية وثانيهما بالفارسية حتى « جاء عبد الملك بن مروان واستحال الأمر ملكا وانتقل القوم من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة، ومن سذاجة الأمية إلى حذق الكتابة، وظهر فى العرب ومواليهم مهرة فى الكتاب والحسبان » فأمر عبد الملك سليمان ابن سعد أن ينقل ديوان الشام إلى العربية فسأله أن يعينه بخراج الأردن سنة، ففعل ذلك وولاه الأردن فلم تنقض السنة حتى فرغ من نقله، وأتى به عبد الملك فدعا بسرجون كاتبه فعرض ذلك عليه فغمه وخرج من عند عبد الملك وهو مكتئب حزين فلقيه قوم من كتاب الروم فقال لهم: اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم.

وأما ديوان السواد وسائر العراق فقد كان بالفارسية حتى ولى الحجاج العراق فكتب له زادان فروخ بالفارسية إلى أن قتل زادان أيام عبد الرحمن ابن الأشعث فاستكتب الحجاج صالح بن عبد الرحمن مكانه وكان صالح هذا يكتب العربية والفارسية التى لقنها عن زادان ولكن الحجاج أمره أن ينقل الديوان إلى العربية ففعل حتى قال عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد: « لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب ».

مما تقدم وأشباهه نعلم أن حركة التعليم فى صدر الإسلام كانت حركة

جدية بعثها الصادق الأمين والراشدون من بعده وخلفاء بنى أمية من بعدهم على الرغم مما كان يشغل بالهم من فتوح البلدان ونشر الدين فى الآفاق . وليس من الحق فى شىء مايذهب إليه بعض المؤرخين من أن الدولة الأموية لم تؤازر الحركة العلمية ولم تشجع على نشر العلم فقد كان معاوية من الكتاب لرسول الله ﷺ ومن رواة حديثه،وكان يزيد ابنه من الشعراء المعدودين فى زمنه ، وكان عبد الملك بن مروان قبل الخلافة أحد فقهاء المدينة . قال الشعبي : «ماذا كرت أحدا إلا وجدت لى الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان فإنى ماذا كرته حديثا إلا زادنى فيه،ولا شعرا إلا زادنى فيه ،وإن تشجيعهم للعلم والعلماء قد اتسع مداه حتى لقد نقلت فى زمنهم الكتب من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية .

التعليم الاسلامى

بعث رسول الله ﷺ معلما لينشر دين الله بين الناس ويعلمهم مكارم الأخلاق ويهديهم إلى طريق الحق وإلى صراط مستقيم ويرشدهم إلى سعادة العاجلة والآجلة،هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوعليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة،فصدع ﷺ بالأمر ولقى فى سبيل الدعوة لدين الله مالقى من بلاء ومحنة وكان من أمره مع قريش ما كان . هاجر من مكة إلى المدينة فكان الصحابة رضوان الله عليهم يجتمعون إليه فى كل وقت مع ما كانوا عليه من ضنك العيش وقلة القوت،فإذا سئل عليه الصلاة والسلام عن مسألة أوحكم بحكم أو أمر بشىء أو فعل شيئا وعاه من حضر عنده من الصحابة ، على أن نفرا من أصحابه يبلغ عددهم الأربعين كانوا يجتمعون إليه بمكة قبل الجهر بالدعوة فى دار الأرقم فيتولى تعليمهم ، وكان للنساء يوم خاص يتولى تعليمهن فيه ؛ فقد اعتنق الإسلام كثير منهن .

وقد كان رسول الله ﷺ يجلس فى مسجد المدينة ويدرس للناس العلم فى المسائل المختلفة. يدلنا على ذلك ماروى عن أبى واقد الليثى قال: بينما رسول الله

ﷺ جالس فى المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد . قال فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفه وأما الثالث فأدبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله وأما الثانى فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه .

وكانت مجالس رسول الله للتعليم متنازعة بين الرجال والنساء . فى البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال النساء للنبى : غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن . . . .

وروى أن أبا الدرداء كان يجلس للناس فى المسجد فيعلمهم القرآن وما ينبغى أن يراعى فى قراءته .

وكان ابن عباس رضى الله عنه يلقى المحاضرات على عدد عظيم من طالبى العلم، فكان يوم للتفسير، ويوم للفقه، ويوم للنحو، ويوم لتاريخ العرب، ويوم للشعراء. ولعل هذا أول جدول دراسى فى الإسلام وقد تكون هذه أول محاضرات إسلامية ألقيت فى الهواء الطلق . ثم حل محل هذا النوع دراسة منظمة للعلوم الإسلامية بين جدران المساجد .

واتبع أصحاب رسول الله سنته فكانوا يعلمون الناس العلم ويفقهونهم فى الدين ويفتونهم فى المسائل التى يستفتونهم فيها ، وزاول الفتيا فى زمن النبى ﷺ من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة ابن اليمان وزيد بن ثابت وأبو الدرداء السابق الذكر وأبو موسى الأشعرى وسلمان الفارسى فكانوا الطبقة الأولى من المعلمين بعد رسول الله ﷺ ولقد كان بعض هؤلاء الصحابة يعرف إلى جانب اللغة العربية

لغة أخرى كالعبرية والفارسية ويلم بشيء من ثقافات الأمم المجاورة للعرب ودياناتهم كسلمان الفارسي وزيد بن ثابت وسواهما. واستعان رسول الله ﷺ ببعض أصحابه على نشر العلم في أنحاء جزيرة العرب فكان كلما فتحت الجيوش الإسلامية بلدا بعث إلى أهله من يفقههم في الدين ويدعوهم إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فقد اجمعو على أن رسول الله ﷺ ولى زياد بن لبيد حضرموت، وبعث أبا موسى الأشعري ومعاذا إلى اليمن[1] وولى نجران عمرآبن حزم الأنصاري. هذا إلى ما كان يقوم به عليه الصلاة والسلام من إرساله أصحابه إلى الجهات المختلفة لدعوة أهلها إلى الإسلام؛ فقد ورد أنه لما كانت سنة ٨ هـ بعث رسول الله ﷺ أبا زيد الأنصاري وعمرآ بن العاص إلى ابني الجلندى بكتاب منه يدعوهما فيه إلى الإسلام وقال: إن أجاب القوم إلى الشهادة فعمرو الأمير، وأبو زيد على الصلاة وأخذ الإسلام على الناس وتعليمهم القرآن والسنن.

وجرى الخلفاء الراشدون على سنته من بعده فأرسل أبو بكر معاذ بن جبل وأبا الدرداء إلى الشام، وبعث عمر إلى أهل الكوفة: عمار بن ياسر على الثغر، وعثمان بن حنيف على الخراج، وعبدالله بن مسعود على بيت المال وأمره أن يعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين[2]، واشتدت رغبة الصحابة في الدعوة لدين

---

(١) كتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر. قد احتاج أهل الشام إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأرسل معاذا وعبادة وأبا الدرداء، فأقام عبادة بفلسطين حتى مات بالرملة سنة ٣٤ هـ «الاصابة»

(٢) نفى البخاري عن أبي بردة قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن قال: وبعث كل واحد منهما على مخلاف. قال: واليمن مخلافان. ثم قال: يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب فاذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. (الحديث)

الله؛ فنزل أبو موسى الأشعرى وأنس بن مالك بالبصرة، وذهب إلى مصر عبدالله ابن عمرو بن العاص وروى أهلها عنه أكثر من مائة حديث . وممن رحل إلى مصر جابر بن عبدالله بن عمرو الأنصارى وكان له حلقة فى المسجد النبوى يؤخذ عنه فيها العلم، ثم قدم مصر على عبدالله بن أنيس يسأله عن حديث القصاص. ولأهل مصر عنه نحو عشرة أحاديث ولا بأس هنا أن نورد حديث رحلته إلى مصر لتعرف مبلغ شغف الناس بالعلم وطلبهم له مهما كلفهم من جهد ومشقة : عن جابر بن عبدالله الأنصارى قال : كان عبد الله بن أنيس الجهنى يحدث عن رسول الله ﷺ حديثا فى القصاص قال جابر: فخرجت إلى السوق فاشتريت بعيرا ثم شددت عليه رحلا ثم سرت إليه شهرا فلما قدمت عليه مصر سألت عنه حتى وقفت ببابه فقال:ماجاء بك ياأخى؟قلت:حديث تحدث به عن رسول الله ﷺ فى القصاص لم يبق أحد يحدث به عن رسول الله غيرك أردت أن أسمعه منك قبل أن تموت أو أموت[1].

وأرسل عمر بن عبدالعزيز نافعا فقيه أهل المدينة إلى مصر ليعلم أهلها السنن وجحثلا الرعينى إلى أهل المغرب ليقرئهم.

ولا يفوتنا هنا أن ننوه برجلين من أبطال الإسلام وأهل الرأى فى المسلمين وهما:عبدالله بن مسعود وكان من ثقاة الرواة وأصحاب العلم بالقرآن وحديث رسول الله حتى كان يسمى البحر لسعة علمه ، وعلى بن أبى طالب وكان متمكنا من علوم الدين وفنون اللغة والأدب والتاريخ، ثبتا فى علوم القرآن حتى أخرج ابن سعد عن على قال: والله مانزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت . وقال: قال على:سلونى عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل . ومن المعروف أن

(١) وذكر أبو عمرو الكندى أن أبا سعيد عثمان بن عتيق أول من رحل من أهل مصر إلى العراق فى طلب الحديث ، ثم كثر الترحل إلى الآفاق . وكثيرا ما كان الصحابة والتابعون يرحلون فى طلب الحديث الواحد الأيام الكثيرة.

ابن أبي طالب هو أول من وضع أصول النحو . روى عن أبي الأسود قال: دخلت على أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه فرأيته مطرقا مفكرا فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية. فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة. ثم أتيته بعد ثلاث فألقى إلى صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: الكلام كله (كله) اسم وفعل وحرف الخ ..

ولقد أخلص الصحابة والتابعون لدينهم القويم وجدوا في نشره ووقفوا أنفسهم لخدمته وتنافسوا في ذلك حتى قامت في كثير من البلاد حركة فكرية عظيمة جعلتها مركز الثقافة الإسلامية ومقر الآداب العربية وموئل طلاب العلم ، ومن بين تلك البلاد مكة المكرمة ومدينة الرسول ﷺ والبصرة والكوفة وحمص ودمشق ومصر وغيرها.

روى أن عمر بن عبد العزيز بعثه أبوه إلى المدينة يتأدب بها فكان يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع عنه العلم وكذلك كان عبد الملك بن مروان يطلب العلم بالمدينة حتى صار أحد فقهائها وأصحاب الرأي فيها .

وعلى هذا النحو انتشر العلم في الأقطار العربية ووجد طريقه إلى القلوب فأنار البصائر ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ؟

محمد علي مصطفى